المحاضرة الرابعة: الكندي واستشكالاته الفلسفية

((ينبغي أن لا نستحي من استحسان الحق واقتناء الحق من أين أتى وإن أتى من الأجناس القاصية عنا والأمم المتباينة))

الأهداف الإجرائية:

- ان يتعرف الطالب على علاقة السياق الثقافي والفكري بفلسفة الكندي.
- ان يتعرف الطالب على الأبعاد الاستشكالية عند الكندي ودره في تبيئة الفكر الفلسفي في البيئة العربية الإسلامية.

عناصر المحاضرة:

- تمهيد:
-التكوين الفكري والعلمي للكندي و ما أنتجه من إنتاج فكري فلسفي .
- موقفه من الفلسفة تعريف الفلسفة ودلالاتها.
- موقفه من التراث الوافد.
- موقفه من اشكالية المنهج وممارسة البرهان.
- موقفه من اشكالية الحدود- المصطلح.
- أطروحاته الفلسفية حول مسألة :- الألوهية، النفس، العقل.

الإشكالية:

-هل استطاع الكندي ان ينحت مكانة تليق بالفلسفة ودورها المعرفي والثقافي؟
- ما هي الاستشكالات التي تناولها للتأسيس لمعالم الفلسفة العربية الإسلامية؟

تمهيد: السياق الفكري في عصر الكندي وتحدياته الفكرية.

التعريف بالكندي: هو أبو يوسف يعقوب بن اسحق الكندي، يلقّب بفيلسوف العرب، حيث يذكر ابن النديم هذا اللقب في مؤلفه" الفهرست" انه ينحدر من أسرة عربية الأصل لها علاقة بشؤون الحكم والسياسة. وقد كان تكوينه الفكري والمعرفي في بداية صغره متمركزاً على علوم الدين لكونها كانت محل اهتمم تقدير، لكن عندما كبر تغيّرت المعطيات السياسية بانتقال الحكم من الأمويين إلى العباسيين مثلما عرفت الأمة انفتاحا ثقافيا واسعاً على مختلف العلوم والثقافات الأجنبية بسبب التوسع السياسي للدولة وكذلك انفتاحها على مختلف الأمم، ممّا ساهم في بروز استشكالات فكرية جديدة في مجال علم التشريع وكذلك في الإلهيات، الأمر الذي ساهم في نشوء

علوم عدة منها ما يرتبط بعلوم الطبيعة وما كذلك علوم الشرع، مّا ساهم في انتشار الوعي والثقافة الشرعية التي تجعل من الدين مرجعية ومعيارا توزن به الأفكار والمواقف،لغرض القبول بها او رفضها والرد عليها، خصوصا بعد ان أصبح لعلم الكلام مذاهب وأنصار، كل فريق يذود عن أفكاره وينتصر لها بأساليب الحجاج والمناظرة، لدرجة انه أصبح الممثل الأساسي للنظر العقلي في بناء المنظومة القيمية والشرعية لدى المجتمع. خاصة عندما دخلت الفلسفة اليونانية إلى الوسط الثقافي والاجتماعي، حتّى أصبحت تثير بعض الإشكاليات ذات الصلة بالمعتقد وبالإرادة البشرية وبدور ومكانة العقل كأداة تجعل من الإنسان صانعا للقيم والتشريع وهو الأمر الذي يهدّد مكانة بعض القوى الفكرية ويقوض من سلطتها الفكرية والدينية ومن سيطرتها على رقاب الناس، الأمر الذي ساهم في خلق مناخ ثقافي رافض للوافد اليوناني.

في ظل هذا السياق يأتي ابو يوسف يعقوب الكندي، ليوجّه نظره واهتمامه للتفكير الفلسفي الذي يقوم على النظر العقلي وثقافة الإختلاف وروح الشك والنقد، بسبب احتكاكه بالقائمين على الترجمة أمثال – يحي ابن البطريق- واطلاعه على الوافد الفلسفي اليوناني وتعرفه على روح هذا الفكر وما يمكن ان يقدمه للمجتمع من فكر مستنير وما يمكن ان يؤديه في تفعيل الحركة الفكرية والعلمية داخل المجتمع- يظهر هذا الوعي والفهم من خلال التعريفات التي قدمها للفلسفة- وهو ما جعله يتحوّل إلى مشروع فيلسوف، فألّم بالفلسفة اليونانية ثمّ بدأ يؤسسه لأفكاره وأطروحاته الفلسفية، التي بيّن من خلالها رؤيته للكون والدين والغير ولطبيعة العلاقة بين الإنسان وخالقه، وبين وبينه بني جنسه، ثم الطريق الذي يجب اعتماده للوصول إلى الحقيقة.

لكن اقتحام الكندي عالم الفلسفة لم يكن سهلاً وذلك يرجع إلى طبيعة التحديات التي كانت تواجهه أو طبيعة المطالب و السجالات الفكرية التي كان تفرضها البيئة الثقافية التي ينتمي إليها، فهو مطالب بالترويج للخطاب الفلسفي وأهميته ليرقى بالفلسفة إلى مستوى الفضول والحيرة تجاه هذا الوافد الجديد. يبيّن من جهة أخرى الحاجة الماسة لهذا الطريق الفكري في بناء المنظومة الثقافية والفكرية للمجتمع وطبيعة العلاقة التي ستكون بين الفلسفة والدين[1]. هذا الوعي الذي يتجلى في الإنتاج الفكري الذي أبدعه ابو يوسف يعقوب الكندي، هذا التراث الذي يتوزع على اشكاليات فلسفية مختلفة تندرج جلها في المباحث الفلسفية الكبرى(وجود، معرفة، قيم) حيث تقدر مؤلفاته في الفلسفة أزيد من 22 مؤلفا والمنطق 20مؤلفاً والموسيقى 7 مؤلفات، الطب 22عنوانا، الهندسة 23عنوان، الفلك 26، الجدل 17عنوان، علم النفس 5عناوين، السياسة12عنوان،، إلى جانب رسائل عديدة: رسالة في العقل، رسالة في حدود الأشياء، رسالة

[1] عبد الشمالي، دراسات في تاريخ الفلسفة العربية الإسلامية،دار صادر، بيروت، الطبعة الخامسة،1979م ص223.

في تحصيل الفلسفة، رسالة في الفعل الحق الأول التام والفعل الناقص الذي هو بالمجاز، رسالة في القول في النفس، رسالة في السعادة، وغيرها ومن المؤلفات والرسائل التي توضح طبيعة انشغالاته الفكرية والعلمية، التي بدورها ترتبط بتأسيس رؤية واضحة للإنسان عن العالم، وفق طريق عقلي بشري يمكن تجسيده على ارض الواقع. كما أنها تعكس اشتغال الكندي على القضايا الفكرية التي يمكن ان تساهم في تشكيل الوعي البشري لقيمة العلم ودوره في الحياة، حيث تظهر نزعة الكندي العقلية الفلسفية في مواضع كثيرة من مؤلفاته فتراه وكأنه عبر كتابه في الفلسفة الأولى يدخل في مناظرة عقلية مستمرة عبر التاريخ ضد خصوم الفلسفة التي يسميها- علم الأشياء بحقائقها- فتراه في دفاعه عنها يُلزم خصومها وخصومه بالتبعية بالاعتراف بوجوب اقتنائها منطلقاً من أنّ موقفهم لا يخلو من القول بوجوب اقتنائها أو عدم والوجوب((فإن قالوا: إنه يجب، وجب طلبها عليهم، وإن قالوا أنها لا تجب، وجب عليهم أن يحضروا علّة ذلك: وأن يُعطوا على ذلك برهاناً. وإعطاء العلّة والبرهان من قنيّة الأشياء بحقائقها، فواجب إذن طلب هذه القنية بألسنتهم والتمسّك بها اضطراراً عليهم، كما أن في علم الأشياء بحقائقها علم الربوبية، وعلم الوحدانية، وعلم الفضيلة، وجملة علم كل نافع والسبيل إليه، والبعد عن كل ضار والاحتراس منه، واقتناء هذه جميعاً هو الذي أتت به الرسل الصادقة عن الله جلّ ثناؤه))[2] .

تعريف الكندي للفلسفة: لقد ادرك الكندي أن أية محاولة لتبيئة الفلسفة تقتضي تصحيح الرؤى والمواقف التي انتشرت في الوسط الفكري والاجتماعي عن الفلسفة، وهو أمر لا يمكن ان يتحقّق إلاّ بتقديم تعريف واضح للفلسفة[3]، ولهذا لم يكتف بتقديم تعريف واحد لها، بل قدم تعريفات عديدة[4]، حاول من خلالها تصحيح الرؤى ونحت مكانة لائقة للفلسفة في الوسط الثقافي والاجتماعي. وقد جاء هذا العمل في رسالة حدود الأشياء ورسومها.

التنويع في تعريف الفلسفة يؤكد تضلّعه في الفلسفة وفهمه لروح الفلسفة ودورها الحضاري

[2] الكندي الرسائل الفلسفية، رسالة 'إلى المعتصم بالله في الفلسفة الأولى، ، تحقيق وتقديم محمد الهادي ابو ريدة،، دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الثانية،د سنة الطبع ص33.

[3] ابو يوسف يعقوب الكندي ، كتاب الفلسفة الأولى-رسالة في حدود الأشياء ورسومها، تحقيق وتقديم محمد الهادي ابو ريدة،، دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الثانية،د سنة الطبع، ص 25.

[4] كروث ايرناندیث،تاريخ الفكر في العالم الإسلامي، ترجمة عبد العال صالح المركز القومي للترجمة،،القاهرة،الطبعة الثانية،2016،المجلد الأول،ص295.

1- تعريف بحسب الاشتقاق: عرف من خلاله الفلسفة بقوله((الفلسفة هي حبّ الحكمة، لأنّ فيلسوف هو مركب من فيلا-محب- وسوفيا- الحكمة))تعريف فورفوريوس رغم بساطة هذا التعريف إلاّ انه يعكس أبعادا فكرية وحضارية عميقة اختصرها في القول المفيد، لأنه يعلم أن القول المختصر هو أحسن سبيل ليوصل معناها للجمهور وعامة الناس، فكانت لغته بسيطة عميقة تداولية، تحمل موافقا واضحة من مسائل عديدة:

- أما المعنى الأول فهو يقوم على تحديد روح فعل التفلسف وهو طلب الحكمة، وهي مطلب بشري مشترك، لا ينحصر عند جنس معين، كما انه مطلب فطري وكذلك شرعي عند المسلمين، كون الإسلام يحث على طلب الحكمة، ومنه يصبح فعل التفلسف فعل لا يتعارض مع مطالب الدين، بذلك يحاول ان يطمئن الناس من الفلسفة كونها مجرد طريق في التفكير والنظر مقصده الحكمة.

- وفيما يخص المعنى الثاني، فهو يتمثل في اعترافه باشتقاقها اللغوي الأصل اليوناني، وهذا يتضمن مسألة الاعتراف بالغير والانفتاح على إنتاجه العلمي والفكري، إذا كان يحقق الحكمة.

2- تعريف بحسب التأثير: يقول فيه((إنّ الفلسفة هي التشبّه بأفعال الله تعالى،بقدر طاقة الإنسان، أراد أن يكون الإنسان كامل الفضيلة))تعريف افلاطوني وهو تعريف يوضّح من خلاله طبيعة التأثير الذي تحدثه الفلسفة في حياة الإنسان، فهي تساعده على امتلاك الحكمة ، كما أنها تمنحه امكانية امتلاك الفضيلة والتخلّق بها لبلوغ أعلى مراتب الكمال البشري، وهي التشبّه بأفعال الله تعالى، عن طريق معرفة كماله وعدله ورحمته والسعي لتجسيد هذه الصفات في سلوك الإنسان، وهذا أمر لا يتعارض مع ما ينشده المسلم الذي يحب الله ورسوله. وبذلك تسقط المبررّات التي ترفض الفلسفة بحجة أنها تبعد الإنسان عن الله تعالى وعن الدين، وهي في حقيقتها مواقف لا علاقة لها بالغيرة والدفاع عن الدين بل هي مرتبطة بالدفاع عن المصالح الضيقة((وكانوا منها في الأطرف الشاسعة بموضع الأعداء الجرية الواترة، دفاعاً عن كراسيهم المزوّرة التي نصبوها عن غير استحقاق، بل بالترؤس والتجارة بالدين، وهو علماء الدين، لأن من تحرّ تجّر بشيء باعه، ومن باع شيئاً، لم يكن له، فمتى تجر بالدين لم يكن له دين، ويحق أن يتعرّى من عائد قنيّة علم الأشياء بحقائقها وسمّاها كفراً))[5].

3- تعريف من حيث الغاية: الفلسفة هي((العناية بالموت، والموت عندهم موتان: طبيعي وهو ترك النفس استعمال البدن، والثاني إماتة الشهوات وهذا هو الموت الذي قصدوا إليه، لأن إماتة الشهوات هي السبيل إلى الفضيلة، ولذلك قال كثير من أجله القدماء: اللذة شرّ، فباضطرار

[5] رسالة في الفلسفة الأولى، المصدر نفسه،ص35,

انه إذا كان للنفس استعمالان: احدهما حسّي والآخر عقلي، كان ممّا سميّ لذة ما يعرض في الإحساس، لأن التشاغل باللذات الحسيّة ترك لاستعمال العقل))تعريف افلاطونى-فيدون- هذا التعريف الذي يتعرض فيه إلى مسألة تكاد تكون مطلبا جوهريا في حياة المسلم وهو الترفع عن الشهوات والملذات التي تحط من قيمته وتدفعه إلى ارتكاب الفواحش من الأفعال، فإماتة الشهوات هو بمثابة مجاهدة للنفس، للارتقاء بها والفلسفة تساعد المرء على بلوغ هذه الغاية، إنها تعلمه كيف يكون حيا بروحه وقلبه وعقله قبل ان يكون حياً ببدنه.

4- تعريف من حيث علاقتها بالإنسان: لم يكتف الكندي بتقديم تعريفات تبيّن أهمية وغاية الفلسفة وفقط، بل كان حريصاً أن يبيّن علاقة هذا النمط الفكري بحياة الإنسان، وما يمكن أن تقدمه لهذا المخلوق المختلف عن بقية المخلوقات،يحث كان يرى أنّ((الفلسفة هي معرفة الإنسان بنفسه، هذا قول شريف النهاية بعيد الغور، مثلاً أقول: أن الأشياء إذا كانت أجساما و لا أجسام هي إمّا جواهر، وإمّا أعراض، وكان الإنسان هو الجسم والأعراض، وكان النفس جوهراً لا جسماً، فإنه إذا عرف ذاته فإنه عرف الجسم بأعراضه، العرض الأول والجوهر الذي هو لا جسم، فإذن إذا علم ذلك جميعاً، فقد علم لا الكل ولهذه العلة سمّى الحكماء الإنسان العالم الأصغر)) فهو يؤكد في كتابه إلى المعتصم بالله في الفلسفة الأولى، أنها أعلى الصناعات الإنسانية منزلة وأشرفها مرتبةً لأنها تمكّن الإنسان من معرفة حدّ علم الأشياء بحقائقها بقدر طاقته[6]، وفي هذا تأكيد على سقوط الدعوى التي تبطل الاشتغال بالفلسفة.

موضوعات وأقسام الفلسفة: تنقسم الفلسفة بحسب الكندي، إلى علم وعمل، أي يقسمها إلى نظر عملي وأخر نظري، والأول يقصد به الفلسفة العملية، من خلاله يثبت أنّ الفلسفة ليست مجرّد نظر ميتافيزيقي لا علاقة بالحياة العملية للإنسان، وإن كان في تقسيمه هذا لا يخالف أرسطو فهو يقدم الجديد، عندما ربط بين ما جاء به الحكماء وما جاءت به الرسل والرسالات، وهو أمر غير معهود به عند الفلاسفة اليونان، كما انه يختلف عنه عندما بدأ في توضيح حقيقة هذا التقسيم الذي ربطه بأقسام النفس لذلك كان يردّد عبارة أن((الفلسفة ليست سوى نظم النفس، لأنه كما أنّ النفس تنقسم إلى فكر وحس، فكذلك تنقسم الفلسفة إلى علم وعم، بحيث يكون العلم هو القسم العقلي، والعمل هو القسم الحسّي، والجزء العقلي في النفس ينقسم إلى علم الأشياء الإلهية وعلم الأشياء المصنوعة والأشياء إما مادية كالجواهر الجسمية أو ملابسة للمادة من غير أن تكون هي مادية كالروحانيات التي منها النفس، أو غير متعلقة بالمادة بوجه كالإلهيات التي

[6]الكندي، رسائل الكندي الفلسفية،ن كتاب إلى المعتصم بالله، تحقيق محمد الهادي ابو ريده، دار الفكر العربي، الطبعة الثانية، القاهرة د س،ص27.

منها الربوبية))[7]، هذا التقسيم الذي يوّضح فيه قيمة وأهمية الفلسفة بمختلف أقسامها، كونها تشتغل بالإنسان وإبعاده الشعورية والمادية والروحية في آن واحد.

يمكن القول أن هذا التقسيم الذي قدمه الندي للفلسفة هو تأكيد منه ان عالم الفلسفة غير ضيّق ولا يمكن حصره في ما أبدعه اليونان، او في المواضيع التي طرقها هؤلاء الفلاسفة، بل يمكن لهذا النمط الفكري أن يقتحم مختلف المباحث التي تثير فضول العقل البشري، سواء ما تعلق بالحياة العملية، من تنظيم شؤون الحياة الاجتماعية والسياسية، او فهم الحياة الداخلية للإنسان تمكين الإنسان من معرفة ذاته، أو كذلك التأسيس للحياة الدينية والتعبدية للإنسان، لذلك يعد الكندي((أقرب الفلاسفة الإسلام إلى الاستقلال في التفكير، وهو أقرب في الوقت نفسه إلى المنابع الأصلية للفكر اليوناني. هذا إلى تمسّكه بأصول فلسفية تطابق أصول الديانات الصحيحة جميعا))[8] .

ملخص: عند الرجوع إلى مختلف التعريفات التي قدمها الكندي للفلسفة، يظهر انه كان يحاول بكل جهده أن يجيب على كل الأسئلة الفضولية والمشككّة في قيمة ودور الفلسفة في تمكين المسلم من الوصول إلى الحقيقة، كذلك إلى دعم فهومه ورؤيته إلى الكون أو العالم الصغير- الإنسان- والعالم الكبير – الوجود ومصدر الوجود- ، كل هذا ليرفع عنها التهم ويؤكد عدم تعارضها مع مطلب الدين وهو بلوغ الحق وسعادة الإنسان. وهي تعريفا تبيّن مدى تضلّع الكندي في الفلسفة وإدراكها لروح الفلسفة واختلاف هذه الروح عن ما أنتجه الغير من فلسفات، ومنه يصبح الاشتغال بالفلسفة بمختلف أقسامها لا يلزم عنه بالضرورة التقوقع عند نسق فلسفي محدّد وإن كان لا يخفي إعجابه بفلسفة المعلم الأوّل أرسطو. و منه يصبح التمييز بين الإعجاب بفلسفة ما وممارسة التفلسف الحر والحي والخالص، الذي يتماشى واهتمامات المجتمع كضرورة فكرية واجتماعية، وهو ما كان يطمح إليه الكندي- نحت مكانة محترمة للفلسفة في مجتمعه-

موقفه من الاحتكاك والانفتاح على ثقافة الغير: لقد اتخذّ الكندي موقفاً واضحاً وصريحاً من مسألة الفلسفة والاشتغال بها، وكذلك الكيفية التي يجب أن نتعامل بها مع الثقافة الوافدة، التي أنتجتها الأمم التي المخالفة في الملّة، فبعد أن أشاد بقيمة ودور الفلسفة في مساعدة الإنسان على معرفة الحق و دورها في معرفة الإنسان لذاته وللعالم المحيط به وكذلك لخالق الوجود، بسبب

[7] الكندي، رسائل الكندي الفلسفية،ن كتاب إلى المعتصم بالله، تحقيق محمد الهادي ابو ريده، دار الفكر العربي، الطبعة الثانية، القاهرة د س،ص 104.

[8] محمد الهادي ابو ريدة، رسائل الكندي الفلسفية، التصدير.

المواضيع التي تبحث فيها وهي مواضيع ضرورية وشريفة، مثل موضوع ما بعد الطبيعة، الذي تشتغل به الفلسفة الأولى، وهو أنبل أجزاء الفلسفة((ذلك أنها علم بالحق الأوّل، الذي هو علة كل حق، ومنه يكون الفيلسوف الكامل، هو الذي يتعمّق في هذا العلم النبيل الشريف))[9] ومنه ينال صاحب هذا العلم مرتبة الشرف مهما كان انتماؤه الحضاري، انه يلفت الانتباه إلى أمر مهم، وهو ما هو ضروري وما هو شريف، وهي مطالب فطرية وشرعية في آن واحد، يجب عدم التفريط فيها ولا في مصدرها، وإن كان هذا المصدر غريبا عنّا، فهن يحترم ويقدّر، ومن الضروري الاستفادة من علمه وما وصل إليه من حق -علم- ((ينبغي أن لا نستحي من استحسان الحق واقتناء الحق من أين أتى وإن أتى من الأجناس القاصية عنا والأمم المتباينة، فإنه لا شيء أولى بطالب الحق من الحق، وليس بخس الحق، ولا تصغير بقائله ولا بالآتي به، ولا أحد بخس بالحق، بل كل يشرّفه الحق))[10] وفي الفقرة الأخيرة يوّضح أمراً في غاية الأهمية، انه يتمثل في دور العلم في الرفع من مكانة الأمم، فالحق دائما يزيد من شرف الأمم ولا يحط منه، ولهذا من الحق احترام من يمتلك الحق أو بعابرة أخرى من الشرف احترام الأمم الشريفة، إنه دعوى منه إلى تبديل المعيار الذي نحكم به على الأمم، فعوض اعتماد المعيار العقدي الذي يختلف يمكن اعتماد معيار العلم والحقن حتى يصبح الانفتاح على مختلف الأمم من أجل اقتناء الحق ونشره.

لهذا كان يرفض الانطواء على الذات، ورفض ما يأتي من علم تحت غطاء الدين((لا دين لمن يقاوم العلم بالأشياء كما هي، ذلك أن العلم بحقائق الأشياء كما هي تشمل العلم الإلهي، وعلم التوحيد، وعلم الفضائل، وبالجملة علم كل ما هو نافع، والعلم بهذه الأمور يوصي به الرسل الصادقون الذين بعث الله بهم، لآن هؤلاء يقررون ألوهية الله وحده، والسعي نحو الفضائل وتجنّب الرذائل))[11]، وسبب هذه الدعوى إلى الانفتاح على الأمم التي أنتجت العلم، يكمن في الفائدة التي يمكن أن يحصل عليها عند الانفتاح على ثقافة الغير وطلب العلوم التي أنتجوها بما فيها الفلسفة، وهي فوائد توجب تقديم الشكر والاحترام لهم، لأنهم ((أشركونا في ثمار فكرهم وسهلّوا لنا المطالب الحقيّة الخفيّة ، بما أفادونا من المقدمات المسّهلة لنا سبل الحق؛ فإنهم لو لم

---

[9] الكندي، رسائل الكندي الفلسفية،ن كتاب إلى المعتصم بالله، تحقيق محمد الهادي ابو ريده، دار الفكر العربي، الطبعة الثانية، القاهرة د س،ص 30.

[10] الكندي، رسائل الكندي الفلسفية،ن كتاب إلى المعتصم بالله، تحقيق محمد الهادي ابو ريده، دار الفكر العربي، الطبعة الثانية، القاهرة د س،ص33.

[11] الكندي، رسائل الكندي الفلسفية،ن كتاب إلى المعتصم بالله، تحقيق محمد الهادي ابو ريده، دار الفكر العربي، الطبعة الثانية، القاهرة د س،ص35.

يكونوا، لم يجتمع لنا، مع شدّة البحث في مددنا كلها،هذه الأوائل التي تخرجنا إلى الأواخر من مطلوباتنا الخفيّة))[12].

لكن الكندي وهو يدع إلى الإقبال على الفلسفة ومختلف العلوم التي أبدعتها الأمم القاصية والمباينة، لا يفهم منه أنه يدع إلى التقليد والجمود على ما ورد من علوم، بل يؤكد إلى ضرورة تحليل ودراسة تلك العلوم وتطويرها وتصحيحها ما يمكن تصحيحه وإضافة ما يمكن إضافته مع مراعاة السياق الثقافي والحضاري الذي ننتمي إليه، وما وصلت إليه القريحة البشرية من علوم((فحسن بنا-إذا كنّا حراصاً على تتميم نوعنا، إذ الحق في ذلك أن نلزم في كتابنا هذا عاداتنا في جميع موضوعاتنا من إحضار ما قال القدماء في ذلك قولاً تاماً، على أقصد سُبُله وأسهلها سلوكاً على أبناء هذا السبيل، وتتميم ما يقولوا فيه قولا تاماً، على مجرى عادة اللسان وسنة الزمان، وبقدر طاقتنا، مع العلة العارضة لنا في ذلك، من الانحصار عن الاتساع في القول المحلّل لعقد العويص الملتبسة))[13]

فمسألة الانفتاح على الوافد الثقافي والعلمي الأجنبي لا تتعلق التوقف عند حدّ الإعجاب بتلك الثقافات أو برفضها و وخلق فزاعات ثقافية على حد تعبير المفكر عاطف العراقي لنشر الخوف من هذا الوافد والاعتقاد بأنه يمثل خطرا على المعتقد، إنما الأمر مرتبط بالنظر إلى ما تحمله هذه الثقافة من علوم تساعد على معرفة الحق، ومد الفكر بمختلف الأدوات المعرفية التي يمكن أن تساعد في اكتشاف الحقيقة وفهم الوجود، ومنه تصبح دعوة الكندي إلى الانفتاح على الوافد الفكري والثقافي مشروط ببلوغ الحق، الذي يبقى السلم الذي نقيس به العلوم ونزن به الحق من الباطل، مع الدعوة إلى ضرورة البحث والتفكير والاستفادة من مختلف العلوم لبلوغ أعلي مرات العلم والشرف.

- من العقبات الثقافية إلى العقبات المعرفية- اشكالية المصطلح والمنهج: لقد ان بيّن الكندي طبيعة الموقف الذي يجب أن نعتمده تجاه العلوم والثقافات الوافدة، وهو الاعتراف والتقدير لجهود من سبقنا من الأمم السابقة في العلم، مع الاستفادة من تلك الجهود بالتحليل والنقد والإضافة وفق المستطاع. بيّن كذلك ان هذه العلوم لا تتعارض في غايتها مع غاية الشرع وهي إسعاد الإنسان وبلوغه أعلى مراتب الشرف، حتّى لا يوظف الدين كذريعة لرفض ومقاومة العلوم التي أنتجتها الأمم المخالفة في الملة لأن الذين يوظفون الدين لرفض الانفتاح والاستعانة بالعلوم هم في حقيقة الأمر يفعلون ذلك ((ذبا عن كراسيهم المزورة التي نصبوها عن غير

[12] عبد الرحمن مرحبا، الكندي فلسفته ومنهجه،ص138.
[13] عبد الرحمن مرحبا، الكندي فلسفته ومنهجه،ص139.

استحقاق، بل للترؤس والتجارة بالدين، وهم عدماء الدين، لأن من تجّر بشيء باعه ومن باع شيئاً لم يكن له، فمن تجّر بالدين لم يكن له دين، ويحق أن يتعرّى، من الدين من عاند قنيّة- أي الاستعانة والاستفادة- علم الأشياء بحقائقها، سمّاها كفراً))[14]. وبذلك يكون قد حاول حل العقبات الثقافية التي تعيق الاستفادة من مختلف العلوم التي أبدعتها مختلف الأمم بما فيها الفلسفة بمختلف أقسامها. لكن ذلك لم يمنع من وجود عقبات أخرى وذات طبيعة معرفية تحول دون تفكيك مختلف العلوم وفهم قضايا الفلسفة ونشر أفكارها في الوسط الفكري الاجتماعي وكذلك امتلاك الأدوات المعرفية للانتقال من مرحلة الفهم والتقليد إلى الإبداع والإنتاج الفلسفي والعلمي.

ومن أهم هذه العقبات المعرفية، نذكر إشكالية الحدود الفلسفية- المصطلح الفلسفي- وكذلك إشكالية المنهج الذي يجب اعتماده لغرض التأسيس لمختلف الرؤى الفلسفية المرتبطة بمباحث الفلسفة وانشغالات المجتمع الفكرية.

- إشكالية المصطلح:

العقبات: تتمثل في إيجاد الألفاظ و التعابير العلمية القادرة على اتصال الحقيقية العلمية وتناول القضايا الثقافية و الفكرية، دون أن يكون ذلك سبباً في غربة الخطاب الفلسفي أو تأكيد غرابة وغربة الثقافة الوافدة وعدم تناسبها مع البيئة الجديدة.فلا احد ينكر أهمية اللغة في التبليغ والإقناع وتصحيح المفاهيم، وهو الأمر الذي جعل الكندي يدرك أهمية حل هذه الإشكالية عن طريق إنتاج و وضع المصطلحات والعبارات، التي يمكن التي يمكن أن تساعد الفيلسوف والحكيم على تأدية واجباته الفكرية والثقافية التي ترمي إلى تدعيم روح الفكر وثقافة الإختلاف والتسامح وكذلك إيجاد مكانة لائقة بالفلسفة في المجتمع المسلم.

الحلول:

أولاً: بناء التعريفات: الحرص على تقديم تعريفات واضحة وعميقة تبيّن جوهر الفلسفة ومعنى التفلسف وغايته وطبيعة مواضيع الفلسفة وعلاقتها بالمطالب الفكرية للإنسان المسلم، الحقيقة الإلهية، ومصدر اليقين، وقدرة الإنسان على بلوغ اليقين، فقد قدّم تعريفات تمس كل التوجهات المعرفية والانتماءات المذهبية والاهتمامات الروحية والعلمية في المجتمع المسلم، ممّا جعله لا يجد حرجاً للتأسيس لهذه المهمة الفكرية في الاستعانة بمختلف التعريفات التي قدمها من سبقه من فلاسفة اليونان، لغرض الاضطلاع على أفكارهم ومصطلحاتهم ومعانيها ثم النظر في مدى تماشيها والسياق الثقافي والعقدي للمجتمع المسلم، وإمكانية تعديها لإنتاج مفردات

[14] الكندي، رسائل الكندي،ص35.

تداولية عربية قادرة على احتضان الفلسفة وإيصالها للفئات المستهدفة، ولهذا عمل على تأليف – رسالة في حدود الأشياء ورسوماتها- يقول عنها المهتمين بشأن الفلسفة الإسلامية أنها أوّل قاموس وصل الينا للمصطلحات العلمية والفلسفية عند العرب[15] فهي تشهد له بطول الباع في اللغة العربية وأساليبها وسعة الإطلاع على العلم وفروعه، ما مكنه من تجاوز عقبة التبليغ والإقناع وتطوير الفكر عن طريق وضع وبناء المصطلح، الذي يتماشى والسياق الثقافي الخاص، يمكن من خلاله التطرق لأفكار غير مألوفة بلغة مألوفة.

طريقته في انجاز هذا المشروع المعرفي الأساسي في الفكر الفلسفي، ضرورة أن تكون لكل فيلسوف مصطلحاته ومفاهيمه- تقوم على التنويع في الأساليب: فأحيانا يعتمد على التعريب، حيث يلجا إلى تعريب المصطلح عن طريق الحفاظ على المعنى وتبديل المبنى اللّغوي، كما كان يل}ا إلى نحت و وضع حدود جديدة أو إحياء كلمات عربية قديمة، هي في طريق النسيان وعدم الاستعمال، فيعيد توظيفها في مجال العلم والفلسفة ، كونها تتوفر على قدرة استيعاب الفكرة وكذلك إلى إيصالها، مع تحقق التقابل المنطقي والحضاري لهذه الحدود، وقد كان يقوم بتوسيع الدلالات اللفظية بالمجاز أحيانا(تأويل الألفاظ) او بالاشتقاق أحيانا أخر، مع مراعاة الذوق اللغوي السائد، وسهولة الاستعمال,

وما ساعده على بلوغ هذه المهمة التي وفق فيها بإجماع الدارسين للفلسفة العربية الإسلامية، هو مرونة اللغة العربية وخصوبتها.

لقد كان الكندي((ينفرد بأنه إذ يحاول وضع الاصطلاح، يعد أحيانا إلى إحياء كلمات عربية قديمة قد أوشكت أن تسقط من الاستعمال، ثل كلمة((الأيس)) للدلالة على الموجود بالإجمال، ثمّ بجمعها إلى أيسات للدلالة على الموجودات، ثمّ يشتق منها لفظ((الأيسية)) للدلالة على حالة الوجود)) كما يشتق ن هذه الكلمة أيضاً فعل ((أيّس)) والمصدر ((التأييس))واسم الفاعل((المؤيّس)) واسم المفعول((مؤيَّس))وبذلك يصبح تحديد الفعل الإبداعي الحقيقي عند((تأييس الأيسات عن ليس)) أي إيجاد الأشياء من عدم.[16]

ثانيا- ضبط موقفه من اشكالية المنهج:

أدرك الكندي ضرورة الفصل بين طبيعة الطريق المعرفي الذي يجب اعتماده للبحث عن الحق، هذه الضرورة التي تعود إلى تنوع الطرق السائدة عند الفلاسفة القدماء وكذلك عند العلماء المسلمين بما فيهم المتكلمون والمتصوفة، حتّى يفصل في هذه الإشكالية ربط الحل بطبيعة الموضوع الذي تدرسه الفلسفة، خاصة الفلسفة الأولى، التي تبحث في الوجود وما بعد

---

[15] عبد الرحمن مرحبان الكندي، ص16.

[16] محمد الهادي ابو ريد، رسائل الكندي الفلسفية، رسالة في الفاعل الحق الأول والفاعل الناقص الذي هو بالمجاز، ص183.

الطبيعة، فهو يرى أن المنهج مرتبط بطبيعة الموضوع الذي تبحث فيه هذه الفلسفة، وهو الوجود المحسوس والوجود المعقول,

أمّا الوجود المحسوس فهو يتعلق بالجزئيات حسب كل موضوع، الذي بدوره يقبل الإحساس، فيكون المنهج فيه استقرائياً، لكن الوجود المعقول فهو يتعلق بالكليات التي تشمل الأجناس والأنواع كمعاني مجرّدة لا تقبل الإحساس، بل يتم تعقلها بالعقل، وحتى تكون هذه المعاني قريبة من الحق او تمثله، من الضروري أن يكون المنهج المعتمد برهانيا، يقوم على البرهان القوّي –ينطلق من مقدمات ثابتة ليصل إلى نتائج لازمة وصحيحة- وهو يقترح طريق البرهان لأجل الابتعاد عن الظن والتخيلات و والأوهام الباطلة، الفهوم الشخصية التي لا أساس لها من الصحة، وقد اقترح أن يكون علم التعاليم-الرياضيات- الأنموذج الذي يجب الإقتداء، للدقة التي يتميز بها وكذلك لقيامه على المقدمات الواضحة والنتائج اللاّزمة، لكن دون أن يكون ذلك دعوة إلى إقحام الرياضيات بشكل تعسفي في كل أنواع العلوم والمعرفة بل بيّن مجالات الاستعانة بهذا العلم لما فيه من فائدة في بناء الحقيقة في ذلك المجال((الواقع أن الكندي يذكر صراحة أن المنهج الرياضي ينبغي أن يطبّق في نطاق الماهيات المجرّدة لا غير، أي في علم ما بعد الطبيعة))[17]،وهذا يبرز فكرة أساسية عند الكندي تتمثل في أنّ لكل موضوع منهجا خاصا به ، فإن كان للبرهان قيمة معرفية فإن ذلك لا يلزم عنه صلاحيته في معالجة كل قضية مهما كان نوعها. كون البرهان يطلب المقدمات والمبادئ الأولى وهو أمر إن أعتمد في بعض المجالات المعرفية يصبح البحث غير نهائي وضرب من الشطط الفكري.

لقد ضبط مسألة المنهج وفق طبيعة الموضوع وطرق المعرفة، فإذا كان يقسم الوجود إلى حسي ثم عقلي وروحاني-غيبي-، فإنه كذلك يرى أن لكل نوع طريق خاص به ، دن أن يكون بين هذه الطرق فصل مطلق مطلق، وذلك لإمكانية التكامل الذي قد يحصل بين مختلف المعارف التي يكتسبها الإنسان، إمّا عن طريق الحس في مجال عالم المادي-الطبيعيات- حيث يستعان بالعقل أو في مجال عالم المعقول، المرد، أين يكون العقل الأداة الأساسية ، حيث يدر العقل الوجود العقلي الكلّي ، مع الاعتماد على مبادئ عقلية موجودة بالفطرة يسميها ((الأوائل العقلية المعقولة اضطراراً))[18] يستمدها من طبيعة العقل ذاته لا من خارج. فلكل موضوع منهجا خاصاً به ومنه يكون من الخطأ أن يستعمل الدارسين للطبيعة الطريقة الرياضية، للن المنهج الرياضي يختص بما لا هيولى له، وكأه يريد أن يصل من هذا إلى أن المنهج الرياضي يصلح للبحث فيما بعد

---

[17] ماجد فخري، تاريخ الفلسفة الإسلامية، نقله إلى العربية، كمال اليازجي، الجامعة الأمريكية-بيروت- الدار المتحدة للنشر،1974،ص113.

[18] رسائل الكندي،110.

الطبيعة. وفي هذا تأكيد على أهمية هذا العلم في تنظيم الفكر على الانطلاق من المقدمات واعتماد طريقة واضحة في البرهنة مع الحرص على الوصل إلى نتائج لازمة واضحة لتلك المقدمات، حتى يتم الإقناع والبرهان في آن واحد، فلكل نظر مميزات تجعله يطلب موضعا خاصا به ونتائج خاصة به.

والخلاصة : إن المنهج الذي يتبعه الكندي في معرفة هذا العالم إنما يكون بالاعتماد على شهادة الحواس وما تقدمه من وقائع لا يشك العقل فيها كون((الظاهرات للحواس لأوضح الدلالة على تدبير مدبر أوّل لمن كانت حواسه الآلية موصولة [ب] أضواء عقله، وكانت مطالبه وجدان الحق وخواصه وغرضه الإسناد للحق واستنباطه والحكم عليه، والمزكي عنده في كل أمر شجر بينه وبين نفسه-العقل- فإن من كان كذلك انهتكت- زالت- عن ابصار نفسه سجوف سدف الجهل واستوحشت من تولج ظُلم الشبهات فلم تضاد ذاتها ولم تتعصب لأضدادها))[19] فهو يأخذ هنا بالظواهر الحسية شريطة تفسيرها في ضوء العقل، كون العقل بمثابة ضمانة الحس وبه تأمن الخداع واللبس والزلل.

لكن الإقرار بطريق الحس والعقل في بناء المعرفة البشرية عند الكندي لايلغي وجود نوع آخر من المعرفة وهو المعرفة لروحانية والمختصة بالغيبيات التي ينفرد بها الأنبياء والرسل الذين اختصهم الله تعالى بها لحكمة أرادها هو تعالى، وهذا يوضح نزعته الإيمانية التي تنبثق من عقيدة التوحيد وإيمانه بالرسل والرسالات ودورها في تبصير البشر وهدايتهم إلى الحق الذي يعجز البشر عن بلوغه، لأنه يفوق طاقة البشر، وطريقه هو الوحي.

طرق المعرفة ثلاثة: طريق الحس، يختص بعالم الطبيعة، طريق العقل الماهيات المجردة، طريق الوحي يختص بالغيبيات.

حدود الرهان: لا يطلب البرهان إلاّ في بعض الأشياء دون بعض((ينبغي أن نقصد بكل مطلوب ما يجب، ولا نطلب في العالم الإلهي حسا، ولا في أوائل العلم الطبيعي الجوامع الفكرية، ولا في أوائل البرهان برهانا، فإنّا إن تحفظنا هذه الشرائط سهلت علينا المطالب المقصودة، وإن خالفنا ذلك أخطأنا أغراضنا من مقاصدنا وعسُر علينا وجدان مقصودنا))[20].

من خلال هذا القسيم والتصنيف، نلمس دعوة الكندي الإنسان إلى ضرورة

[19] الكندي، الرسائل، ص 214.
[20] الكندي، الرسائل،ص 112.

الاستعانة بكل الطرق المعرفية، مع استخدام مختلف الأدوات المعرفية المتاحة لهن وعدم إهمال النفس والشعور ودوره في امتلاك الحقيقة الغيبية التي تساعده في فهو الوجود وكذلك إلى ضرورة الرجوع إلى الدين لما يحمله من نور يهدي بها الإنسان إلى شرف الحق.

التنظير الفلسفي في مختلف القضايا:

لقد انطلق الكندي من قناعة مفادها أنّ الفلسفة كطريق في التفكير قادرة وذلك وفق قدرة الإنسان، على خوض المسائل الغيبية المرتبطة بالإلهيات أو بالنفس البشرية وطبيعتها ومصيرها واصل الوجود وغيرها من القضايا، التي تبدو في ظاهرها مستشكلة على العقل البشري.

لكن تأكيده على العلاقة التكاملية بين طرق المعرفة وأنواعها كفيل بتيسير الطريق للعقل الفلسفي البحث في تلك القضايا، خاصة بعد أن قام بضبط معاني بعض المصطلحات التي لها علاقة مباشرة بمبحث الألوهية، مثل مسألة الزمان، والأزلي، والمتناهي، والمائية، حيث بيّن أن الزمان هو كمية متصلة وذلك لأن الآن يشمل الماضي والمستقبل و ما بينهما من آن لا يبقى، إذ أنه لا يبقى أمام تفكيرنا فيه، والزمان عنده لا يختلف باختلاف الأشياء وهو ليس حركة بل هو عدد يعدّ بالحركة، كما أنه نهائي يقاس ويقدّر وهو يهتم بالحركة، حركة الوجود والأشياء، كل حركة لها مجالها الذي ينتهي.

إننا نلاحظ العلاقة بين هذا التعريف ومبحث الألوهية، فهو يؤدي إلى توجيه فكره نحو الله، ولذلك كان يسعى إلى ضبط التصورات والمفاهيم، حتى يكون الاستنتاج النهائي سليماً. وهو قبل التطرق لمسألة الألوهية، حدّد مدلول لفظ الواحد:

فالواحد عنده يحمل مدلولات كثيرة، يمكن أن يطلق على الأشياء بعينها، رغم كثرتها، عند انفرادها أو تجزئتها، بحيث تقسم إلى أقسام يكون كل قسم واحداً.

لكن الواحد الحق عنده ليس ذلك الذي يطلق على الألفاظ المشتركة أو المترادفة، لأنه في هذه الحالة يدل على أشياء كثيرة، كما أنه ليس المقول بحسب العنصر، لأنه يدل على عدة أشياء مثل الباب، الكرسي، التي مصدرها هو الخشب[21] -واحد-

[21] الكندي الرسائل،ج 1، ص121-122. نقلا عن، عبد الرحمن بدوي، الفلسفة والفلاسفة في الحضارة العربية،دار المعارف للطباعة ، تونس، د سط، د ط، ص170.

كما انه ليس هو غيره القابل للقسمة، لأن ما لا ينقسم يقال على ما لا ينقسم بالفعل، وما لا ينقسم بالقوة: فالأول هو الذي يصعب جدا تقسيمه، مثل الماس، لكن الماس أجزاء، فهو كثير وليس واحدا.

وبعد إسقاط هذه الأحوال قرّر أن الواحد بحق ليس عنصرا، ولا جنساً، ولا نوعاً، ولا فرداً، ولا فصلاً نوعياً، ولا خاصة، ولا عرضا عاماً، ولا حركة، ولا نفسا، ولا عقلاً، ولا كلاً، ولا جزءاً، بل هو الواحد على الإطلاق، وهذا لا يسمح بأية كثرة، ولا تركيب، الواحد وحدة الحق ليس مادة، ولا صورة، لا كمًا، ولا نوعاً، ولا يتصف أية مقولة , ولا يتحرّك. إنه وحدة محضة، لا يتكثّر أبداً، ولا ينقسم مطلقاًن وهو ليس زماناً، ولا مكاناً، ولا موضوعاً، ولا محمولاً، ولا كلاً، ولا جزءاً، ولا عرضاً.

مصدر هذه الوحدة: الواحد الحق، لا يستمد وحدته من غيرهن بل يهب الوحدة لكل ما هو واحد، ولا يمكن أن تمتد سلسلة واهبي الوحدة إلى غير نهاية، بل لا بد من التوقف عند واهب أعلى، وهو الواحد الحق، الواحد الأوّل، وكل ما يقبل الوحدة فإنّما يستمدّها منهن وعن الواحد تصدر كل وحدة، كل ماهية، انه الخالق، والمبدأ لكلّ حركة[22] وهو بهذا يثبت وجود الواحد الحق وهو الخالق للوجود والمقصود به الله تعالى، الذي نزّهه عن كل صفات النقص والتبعية لغيره من الموجودات، بل أرجع إليه كل أشكال الوجود.

وجود الله: بالنسبة للكندي وجود الله أمر مسلم به عقلا وعقيدة، لكن هذا لا يمنع من النظر في هذه المسألة، لغرض التأسيس لرؤية واضحة للإنسان عن هذا العالم، وعن خالق العالم، وهي رؤية قادرة على تمكين الإنسان من الابتعاد عن التناقضات السلوكية والعملية وكذلك على قدرة الإنسان كمخلوق وفق ما يملكه من قدرات النظر، على إدراك هذا الخالق. وقد بيّن الكندي وجود ثلاثة براهين على وجود الله وهي:

أ- **دليل الحدوث**: حيث يتساءل عن مدى امكانية أن يكون الشيء علة لوجود ذاته أ لا يمكن ذلك، وهو تساؤل منطقي يقوم على مبدأ فطري في العقل البشري يتمثل في استحالة أن يكون الشيء هو نفسه مصدر لوجوده، بل هو يحتاج إلى مصدر مفارق له يكون سببا في وجوده. ولهذا يجيب الكندي باستحالة أن يكون الشيء علة لوجود ذاته، كون العالم حادث-محدث- له بداية ونهاية، ما يلزم ان يكون له محدث، وفق مبدأ العليّة الكافي((فيمتنع أن يكون جرم لم يزل (أي قديماً لا محدث فالجرم إذن محدث

[22] الكندي، الرسائل، ج 1، ً 162.

اضطراراً) فلكل محدث اضطراراً عن ليس. وهو دليل يشترك فيه الكندي مع المتكلمين ولا نجد له نظيراً عند اليونان))[23].

ب- **دليل الوحدة والكثرة**: يقوم هذا الدليل على أساس الكثرة الموجودة في الموجودات، فكل موجود مرّكب من كثرة، تنظّم أجزائها إلى بعضها البعض لتركبّه ممّا يخصّه، وما يعمّه و يعم غيره، وكل منهم يحتاج إلى مركبّ يركبّه ولا يشترك في كثرته، وهذا المركّب هو شيء آخر غير الأشياء المركبّة من الكثرة، ولا بد أن يكون واحداً غير متكثّر، ولا واحد غير متكثّر إلا الله سبحانه وتعالى((الواحد الحق هو الأوّل المبدع الممسك كل ما أبدع، فلا يخلو شيء من إمساكه وقوّته إلاّ عاد ودثر))[24]. لما كانت المحسوسات كلها مشتركة في الكثرة والوحدة عن علّة لا عن بخت-صدفة- وهذه العلة غير ذات الأشياء المشتركة في الوحدة والكثرة، بل هي أعلا واشرف وأقدم منها، وإلا لخرجت العلل بلا نهاية، واللاّنهاية في العلل أمر ممتنع، إذ ليس يمكن أن يكون شيء بالعقل لا نهاية له.

فللأشياء جميعاً علّة أولى غير متجانسة ولا مشابهة لها ولا مشاركة لها، بل هبي أعلى و اشرف وأقدم منها، وهي سبب كونها وتباينها وهي واحدة فقط لا كثرة فيها بجهة من الجهات.[25] وهو دليل يمكن للإنسان ان يدركه ويصل إليه بمجرّد النظر في الموجودات، حيث يصل الناظر إلى استنتاج وجود خالق ومنظم ومركب لهذا الوجود، وذلك انطلاقا من مبدأ فطري كامن في ذاته، يقرّ ضرورة وجود قوة خارجية مفارقة للوجود هي سبب تكونه وتشكلّه على هيئة ما. ومنه يصبح فعل التفلسف عبارة عن اعمال النظر لا أكثر وهو لا يوصل إلى نتائج مناقضة للعقيدة والدين، ومنه تصبح العلاقة بين الحكمة والدين تكاملية، توافقية وإن اختلفتا في طبيعة المصدر. لقد ذهب الكندي إلى أن ((صدق المعارف الدينية يعرف بالمقاييس العقلية، معرفة لا ينكرها إلاّ الجاهل وأنّ المعرفة العقلية والمعرفة الدينية لا تختلفان إلاّ في الشّكل وأنّ غرض العقل ما هو إلاّ تأييد لما أتى به الوحي))[26]

-دليل التدبير والنظام: وهو دليل يقوم على تمثيل ما في الكون من نظام وغائية وانسجام وتناسق بين مختلف الموجودات وكذلك على النظام والتدبير الذي يطبع الحياة البشرية باعتبار الإنسان العالم الأصغر– القياس التمثيلي- فعند النظر في هذا الكون الأكبر والأصغر يظهر

---

[23] مرحبا، الكندي فلسفته ومنتجاته،ص 92.

[24] الكندي، الرسائل، ج1،ص162.

[25] الكندي، الرسائل، ج 1، ص 143.

[26] خليل أحمد خليل ، مستقبل الفلسفة العربية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى 1401ه/1981م، ص43

لزوم وجود مدبّر لهما، هذا المدبّر الذي يجب أن يكون أولا ومريداً، وهو البراري تعالى الذي صيّر مخلوقاته بعضها سوانج لبعض، وبعضها مستخرجة لبعض، وبعضها متحركة ب. فما تقن ببعض . فما أتقن ما هيأ جل ثناؤه من كون الشمس تقترب من سمت رؤوسنا بمقدار وتبتعد بمقدار لتكون الأزمنة الأربعة، وإلاّ لم يكن حيوان ولا غيره من الكائنات، فقوام الأشياء الواقعة تحت الكون والفساد، وثبات صورها إلى نهاية المدّة التي أراد باريء الكون للكون جل ثناؤه، وحفظ نظمها، إنمّا يكون من قبل اعتدال في بعدها من الأرض، ومن قبل سلوكها في الفلك المائل وانقيادها لحركة الفلك الأعظم المحرّك لها من المشرق إلى المغرب، ومن قبل خروج مركز فلكها عن مركز الأرض. فتبارك الله أحسن الخالقين))[27] ، هذا الدليل الذي يعتبر بمثابة دعوة من الكندي إلى النظر رفي الكون والإنسان لفهم هذا الوجود ومعرفة النظام الذي يحكمه، ومن ثمة التعرف على الخالق وعظمته وقدرته، وكذلك على الغاية التي وجد لأجله الكون، ومنه تصبح الفلسفة طريقا للتأسيس للمتقد، وللرؤية البشرية للعالم.وإن كان دليل الغائية حاضرا فيا لفلسفة الأرسطية، فهذا لا يلغي ارتباط الكندي بالمعنى القرآني لهذا الدليل، كونه يتحدث عن الله بالمفهوم الإسلامي وليس بالمفهوم الفلسفي الأرسطي- المحرك الأوّل- كما أنّ العقلانية التي يتميّز بها الكندي تختلف عن العقلانية الاعتزالية، برغم التشابه في المشارب الفكرية، ذلك بفتحه أبوابا جديدة ونهج نهجاً جديداً تجاوز من خلاله غرض الدفاع عن الدين إلى غاية بناء رؤية بشرية واضحة عن الكون، الذي يعتبره العالم الأكبر والإنسان الذي يعتبره الكون الأصغر، ذلك باعتماد على انظر العقلي النيّر. وقد استعرض تصوره الفلسفي للإلوهية في رسائل عدة أهمها رسالتان- رسالة في الفلسفة الأولى- ورسالة في وحدانية الله وتناهي جرم العالم-.

صفات الله: وإن كان الكندي يعتمد على النظر العقلي في التأسيس لرؤيته للإلوهية ولضبطه للأدلة التي تبيّن ضرورة وجود الله، الخالق والمنظم للكون، فأنه يرى أن الصفات التي يتصف بها الله ، منفردة لا يشاركه فيها أي موجود من الموجودات، وهي صفات تليق بمقام الله تعالى، التي تعبّر عن كماله ومطلقيته و تنزهه عن كل صفات النقص، وهي صفات يدركها العقل، لا تختلف عن ما أخبر به تعالى في كتابه العزيز. و هذا يوضّح موقف الكندي من الحاجة إلى الوحي لمعرفة الله تعالى والغاية من الوجود.

موقف الكندي من مسألة قدم العالم من حدوثه: وهي إشكالية تكتسي أهمية في الفكر الفلسفي والعقدي، كونها تساهم التأسيس للموقف البشري من مسألة مصدر الوجود ثمّ مصيره أزلي / زائل.

---

[27] الكندي، الرسائل، ج 1،ص 314.

رغم تأثر الكندي بالفلسفة اليونانية، إلاّ أنه جاء بموقف متميّز ومخالف للأطروحات الفلسفية اليونانية بمختلف أنواعها- الأفلاطونية الأرسطية، الأفلوطينية- وهذا يؤكد الاستقلالية الفكرية للكندي، وكذلك على عدم استيرادها لأفكار مرتبطة بالمعتقد ولكنها مخالفة للسياق الثقافي الأصيل، فهو يرى أنّ العالم مخلوق محدث، مؤيّس من طرف الله تعالى من الّيس، أي هو محلوق إلهي من العدم((الله هو الفاعل على الحقيقة، وهو غاية كل علّه، فتأييس الايسات عن ليس، ليس لغيره))[28] فالعالم عند الكندي محدث محكوم بعلة، له بداية ونهاية في الزمان، وهو مخلوق من العدم على خلاف أرسطو الذي يرى أن الأشياء لا توجد ن العدم وإنما هي مسبوقة بوجود المادة الهيولية التي توجد من خلالها الموجودات، عكس الكندي الذي يقرذ بالإرادة الإلهية القادرة على إيجاد وخلق الأشياء من العدم، وفق مدة مقدّرة.

لقد رفض الكندي القول بقدم العالم، لما يترتب عن هذا الموقف من تصورات ناقصة عن الإرادة الإلهية من جهة ومخالفة للأسس الإيمانية المنزهة للها تعالى والمقرّة بقدرته المطلقة. فالعلم حادث لأنه مبتدع ابتداعاً عن عدم ككل شيء سوى الله تعالى، وقد خلق دفعة واحدة و وضع له نظاما يحكمه ويسير وفقه، ينتهي إلى إرادة فاعلة أو إلى أمر الآمر، لقوله تعالى((ثمّ استوى إلى السماء فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرهاً، قالتا أتينا طائعين)) فقد اوجد الله تعالى العالم بمادته وصورته ومكانه وزمانه ونظامه في آن واحد، بحيث يصبح هذا الوجود مرهون بالفاعل الحق وهو الله تعالى. وهو طرح يرتبط بإثباته لوجود الله ولصفاته تعالى، وكذلك باعتباره أن الله هو الفاعل الحق وهو علة الوجود، فالوجود لا يمكن أن يكون هو نفسه علة وجوده، كونه وجد من عدم، ومنه فهو حادث وله نهاية، وبذلك فهو يفصل بين العلة والمعلول، أي بين الله والعالم، فلا وجود لتساوق زمني بينهما. ينطلق الكندي من منطلق ديني لا يناقض حسب رأيه العقل، الذي يرفض قياس الفعل البشري الذي لا يستطيع ان يخلق من العدم، بالفعل الإلهي القادر على إبداع وخلق الأشياء من العدم، وفي هذا تأكيد منه أن الرأي الذي يقول بقدم العالم واستحالة وجود الشيء من العدم يقوم على منهجية خاطئة يماثل بين الإبداع البشري والإلهي.

وهو ما يؤكد اطّلاع الكندي على مختلف الرؤى الفلسفية حول هذه المسألة وما يمكن أن يترتب عنها من تصورات عقدية و وجودية، ترتبط ارتباطا وثيقا بالسياق الثقافي والاجتماعي والديني للكل فلسفة، وكذلك على قوة تأثير تلك الرؤى في ضبط وتوجيه السلوك البشري .

---

[28] الكندي، رسالة في الفاعل الحق الأوّل والفاعل الناقص الذي بالمجاز، ضمن رسائل الكندي الفلسفية، تحقيق محمد الهادي ابو ريدة، ص183.

كما يؤكد كذلك الاستقلالية الفكرية للكندي وحمله لمشروع فلسفي حضاري يطمح من خلاله إلى:

- التأكيد على أنّ النظر الفلسفي يبحث في مباحث لها علاقة بالمعتقد، وأن هذا النظر يمكن أن يساعد على التأسيس لعقيدة التوحيد بإمكانات الإنسان المعرفية، لا تتعارض مع ما جاء به الوحي، وهو طموح يهدف إلى التأسيس لمكانة محترمة للفلسفة في مجتمعه، وكذلك إلى إعطاء فرصة للخطاب الفلسفي التداولي لصناعة ثقافة عقدية لا تقوم على التقليد والإتباع الأعمى لمن يسمي نفسه عالما[29]. فهو يسعى إلى التأسيس لأطروحة معرفية يمكن أن تساهم في إثراء التراث الفكري في ليصبح مرجعية ثقافييه لمختل فالمسائل المركزية في الحياة.

آراء الكندي في النفس والعقل:

تناول الكندي موضوع النفس الإنسانية في رسائله الفلسفية مثل رسالة موسومة بالقول في النفس المختصر من كتاب أرسطو افلاطون وسائر الفلاسفة، وكذلك رسالة بعنوان كلام للكندي في النفس مختصر وجيز، وتليها رسالة في ماهية النوم والرؤيا، ورسالة رابعة في العقل، وهو يقدم عدة تعريفات للنفس، حيث يعرفها بقوله هي(تمامية جرم طبيعي ذي آلة قابل للحياة ويقال: هي استكمال أوّل للجسم طبيعي ذي حياة بالقوّة)) كما يعرفها بقوله((هي جوهر عقل متحرك من ذاته بعدد مؤلف))[30] وهو برى أن النفس جوهر تجعل الإنسان على ما عليه، ليست جسم لا طول له ولا عرض ولا عمق، تعدّ عنده بمثابة القوام الذي يكون شخصية الإنسان وهي بسيطة عظيمة الشرف والمكانة يحتاجها الجسم دون ان تكون هي بحاجة إلي لتدب فيها الحياة تفارقه عند الموت، وهي خالدة.

علاقتها بالحياة البدنية والنفسية والعقلية: النفس هي جوهر الإنسان، على أساسها تتحدّد معالمه وشخصيته، فهي قوة مسؤولة على الحالة التي يكون عليها، وهي شريفة كونها جوهر الهي روحاني مخالفة لقوى البدن الشهوانية و الغضبية، فالنفس يمكن ان تنقل الإنسان إلى حياة الفضيلة وتبعده عن حياة الرذيلة ، فيحافظ بذلك على توازنه، لكن إذا عرف كيف يصغي إليها، ويتعرّف على قواها المختلفة التي يمكن أن تمكنه من الارتقاء.

يحاول الكندي تقديم تفسير للحالات التي يعيشها الإنسان اثناء اليقظة أو النوم، إذ يؤكد أ أنها ترجع على نشاط النفس الدائم التي تنتقل فيه من حالة إلى حالة أخرى، بحيث ترتبط هذه الحالات بمدى تطهير وتنقية النفس، وابتعادها عن الملذات والشهوات للتعلق بمعرفة الحق،

---

[29] إبراهيم محمد تركي، نظريات نشأة الكون في الفكر الإسلامي، لدار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، د ط،2001.ص237.

[30] الكندي، الرسائل،ج1،ص160.

وهي خالدة ولا تنام، وهي في وقت النوم تترك استعمال الحواس وتخلو إلى ذاتها دون أن تفارق البدن، فالنفس لأنها علاّمة يقضانه حيّة، فإنها قد تنبئ عن أعيان الأشياء قبل كونها، كما أنها ترمز لها بأشياء قبل وقوعها. وهذا التمييز ينبني على مقدار تهيؤ النفس لقبول الآثار((فإذا كان الحي متهيئاً لكمال القبول بالنقاء من الأعراض التي يفسد بها قبول قوى النفس، وكانت بالنفس قوية على إظهار آثارها في آلة ذلك الحين أدّت الأشياء أعيانها قبل كونها))[31] وهو يقصد هنا بالأحلام ورمزيتها في إعلام الإنسان بما هو عرفته وذلك وفق رموز يمكن أن يفهمها. ويبقى وضح هذه الرموز مرهون بمدى قوة النفس وقدرتها ونقاوتها وصفائها. كما انه يرجع استقرار الحياة النفسية للإنسان على هذه النقاوة والطهارة.

قوى النفس: للنفس ثلاث قوى، القوة الحسيّة والقوة العقلية وهم متباعدتان غاية التباعد، وقوة متوسطة بينهما هي القوة المصوّرة.

أمّا القوة الحسيّة: فهي مسؤولة عن إدراك المحسوسات المادية للأشياء، وهي مشتركة بين الإنسان والحيوان، تتأثر الأدوات الحسية وقدراتها التي تختلف من كائن إلى آخر، هي بحاجة إلى تدخل قوى نفسية أخرى لتصبح مدركات كاملة يمكن أن تنقل صورة وماهية الشيء، وينفرد الإنسان عن الحيوان بامتلاكه القوة المصوّرة، المسؤولة عن تشكيل صور عن المحسوسات ((تستحضر الصور المحسوسة مجرّدة عن مادتها، فتستطيع مثلا أن تركب إنسانا برأس أسد وأ تتصوّر السبع ناطقا والإنسان طائراً ذا ريش))[32] وهذا يبرز دور هذه القوة في نشوء مختلف الخيالات التي تتشكل في النفس البشرية عن مختلف المواضيع المادية التي يشاهدها أو يحتك بها في يومياته، حيث تتشكل تلك الخيالات في جو من الحرية يتجاوز من خلالها الإنسان مختلف المعطيات الحسية، ويمكن ان نضربي مثالا عن هذا في ما يقوم به الفنان وهو يصور منظرا حسيا ما فيضفي عليه تخيلاته، التي يقصد من خلالها أفكارا ومعان ما.

وخلاصة القول في القوة المصوّرة، أنها تتلقف الفكر الحسيّة فتجردها من مادتها لتعيد تركيبها وبنائها مرة أخرى، في صورة جديدة مخالفة نسبياً للوضع الذي كانت عليه في عالم الحس. والكندي هنا يريد أن يقدم تفسيراً لمختلف الصور الخيالية التي تنشأ في الذهن البشري، مع ابراز القوة المسؤولة عن ذلك، ليستطيع الإنسان استثمار هذه القوة من جهة لما لهذه التخيلات وكذلك عن عدم الاستهانة بها او الاستغراب منها، لما لهذه القوة من دور في خلق جو من السعادة وكذلك على تجاوز لمؤثرات المادية.

---

[31] الكندي، الرسائل،ج1،ص303.

[32] الكندي، الرسائل، ج1،ص 284.

القوة العقلية: وهي قوة في النفس مسؤولة عن إدراك صور الأشياء مجرّدة من مادتها-الهيولى- بحيث تدرك جوهر الأشياء، نوعها وجنسها، و كذلك تدرك مبادئ المعلومات، وهي مبادئ الفكر او العقل، كمبدأ الذاتية ومبدأ عدم التناقض، ومبدأ السببية، غيره من المبادئ التي تنظم الفكر، وهذا يبيّن رأي الكندي حول طبيعة العلاقة الموجودة بين النفس الإنسانية والعملية المعرفية المرتبطة ببناء المعقولات، وهذا ما يجعل النفس تنتقل من مرحلة نفس عاقلة بالقوة، أي تمتلك القدرة على إدراك كليات الأشياء، إلى نفس عاقلة بالفعل، بعد حصول الكليات فيها، ومنه تصبح المعرفة و المعقولات هي التي تجعل النفس البشرية تنتقل من مرتبة إلى أخرى، بحيث يكون العلم هو السبب في رقيها و وصولها إلى أعلى المراتب، وهي الحكمة.

وإن كان الكندي يقسم بين قوى النفس فهذا لا يلزم عنه الفصل المطلق بينهما، أو القول بالتعدّد، إنما هي نفس واحدة، في جوهرها ومتنوعة في مدركاتها.

لقد أكد الكندي دور النفس كقوة داخلية في الإنسان قادرة على تأسيس رؤيا واضحة عن هذا العالم وعلى فهم هذا الوجود، وذلك على لما تحتويه من قوة إدراكية، وفي هذا تأكيد على ضرورة الإصغاء لهذا القوة الشعورية، وعدم حصرها في مجال العواطف و إهمال ما يتشكّل بداخلها من صور إدراكية يمكن أن تساهم في بناء المعقولات التي قد ترفع من مقام الإنسان.

العقل عند الكندي: لقد اهتم الكندي بمسألة العقل البشري، حيث يرى أن الإنسان يولد عاقلا بالقوة،وهو عقل كامن في النفس العاقلة بالقوة، لكنه يمكن أن يصبح عقلا بالفعل عند تحصل المعقولات على مستوى النفس، ومنه ينتقل العقل البشري من مرتبة العقل بالقوة إلى العقل بالفعل بواسطة المعرفة، فكلما ازداد ادراكه وتعقله كلما ازداد ظهوره في النفس ليصبح عند إذن عقلا فعالاً ظاهرا، فهو بعد أن يستوطن النفس ليصبح عقلاً بالملكة يمكن أن يكون عقلا ظاهراً صانعا للمعرفة. وإذا كان تقسيم الكندي للعقل يبدو في ظاهره غريباً، لكنه تأكيد منه أنّ العقل صفة يكتسبها الإنسان بتعقل المعقولات، وليست صفة ثابتة فيه بالضرورة، يحل عليها بمجرد الانتماء إلى النوع البشري، إنما الأمر مرهون بممارسته للتعقل ومواصلته ذلك، طالبا بذلك الحكمة والفضيلة.

لقد حاول الكندي أن يستعين بالعقل الفلسفي لغرض معالجة مختلف المسائل التي كان يرى أنه مهمة في تشكيل ثقافة التفكير وحرية الرأي وكذلك للتاسيس للجرأة الفكرية، لغرض التاكيد على ضرورة اقتحام الإنسان عالم المعرفة، بكل جرأة وتحرّر، لينتقل الإنسان من مرتبة

الكائن الحي، إلى مرتبة الكائن الحي العاقل، الكائن الذي ينشد العلم والفضيلة والسعادة، وهي مقاصد لا يمكن لهاأن تتحقق في المجتمع الذي ينبذ العلم والحكمة ويرفض الحق تحت غطاء الدين. أو ينشىء لنفسه حواجزا فكرية تحول بينه وبين مختلف الثقافات البشرية.